

بوح الخطاير

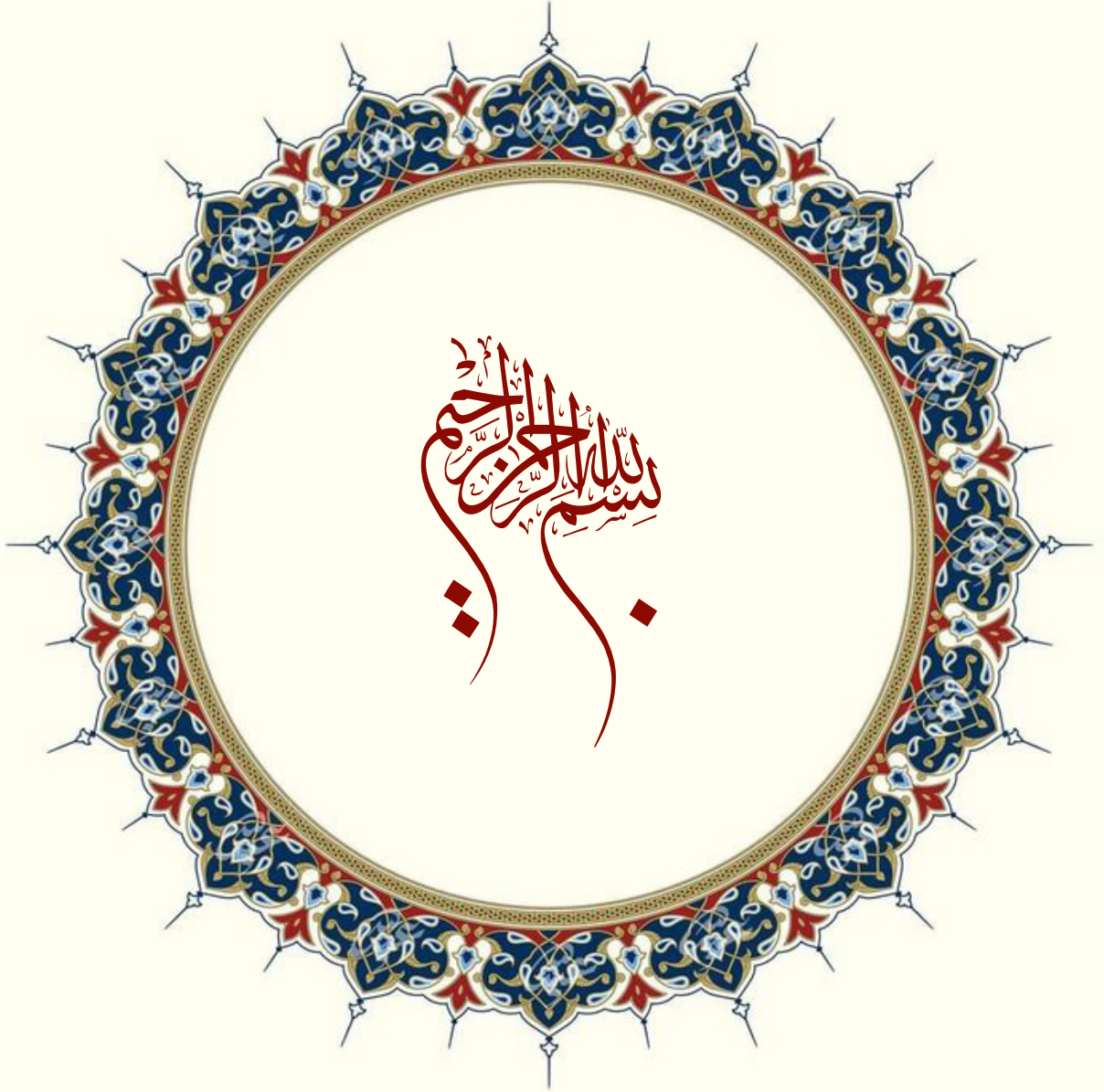
(الجزء الثالث)



عبد الرحمن محمد عسيري

محفوظة
جميع الحقوق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

مقَدِّمَةٌ

الحمد لله العليم الخبير، والصلاة والسلام على البشير النذير، نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم.

أما بعد: بين يديك -أيها القارئ الكريم- «بوح الخاطر في جزئه الثالث». يأتي هذا الإصدار امتداداً لرحلة بدأت بكلمة صادقة، واستمرت بفضل الله ثم بجميل ثنائكم وقبولكم، بعد أن لاقى الجزءان الأول والثاني انتشاراً واسعاً وقبولاً حسناً، والله الحمد والمنة.

هي خواطر متنوعة، لم أرد لها أن تكون مجرد حبر على ورق، بل أردتها نبضا يلامس الوجدان، ومرآة تعكس تفاصيل حياتنا في ظلال الإيمان.

تتنوع هذه الوقفات لتشمل:

- * لطائف قرآنية وإيمانية.
- * ومضات من سير العظماء.
- * فقه الحياة والتعامل.
- * رسائل تربوية واجتماعية.



أرجو أن يجد فيها القارئ بُغيته، وأن تكون هذه الكلمات بلسما
لقلبٍ مُجهد، ونورا لعقلٍ باحث، وذكرى طيبة تبقى حتى بعد رحيل
القلم.

عبد الرحمن محمد عسيري

١٤٤٧ / ١١ / ٢٦ هـ





(١) أمية علمت القراء

في كتاب مشارق الآي للدكتور عبد اللطيف التويجري، قال عن والدته في إهداء مؤثر: «كانت تعيش مع القرآن سماعاً، وتتمنى لو أنها تقرأه من المصحف بنفسها، وذات مرة رأيتني مهموماً فقالت بعفوية صادقة: كيف تضيق صدوركم وأنتم تستطيعون القراءة من كتاب الله؟!» ما أصدقها من كلمة، وما أعمقها من طمأنينة؛ حين يكون القرآن ملاذاً للقلب وسلوى للروح.

(٢) جبر القرآن لأهله

قال لي أحدهم ذات مرة: جلستُ أتأمل ذنوبي فاستعظمتها، وضاق صدري بها حتى شعرت بألم شديد في قلبي، ثم فتحتُ مصحفي لأقرأ وردني من القرآن، فإذا بي أقف عند قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٣٣].

فانسكب على قلبي من هذه الآية برد الطمأنينة، وكأنها بلسم جبر انكساري، فاستقر في نفسي الأمل، وانفتح لي باب الرجاء والتفاؤل برحمة الله وعفوه.



(٣) أهل القرآن لا يُضَيِّعون

يا صاحب القرآن، احرص على دوام تلاوته وختمه؛ ففي كل ختمةٍ بركةٌ ونورٌ ورحمةٌ تنزل على قلبك، وخيرٌ عظيمٌ لا يُحصى.

واعلم أن الله لا يُضيع أهله، فقد جاء في صحيح البخاري من قصة أم إسماعيل ما يدل على ذلك.

فلا تظن أن القرآن يمرّ عليك بلا أثر، بل هو بابٌ خيرٍ متجدد؛ كلما أقبلت عليه أقبل الله عليك بعطائه، فاستمر واثبت، تجد من الله ما يسرك ويجبر قلبك.

(٤) من هو صاحب القرآن؟

هو الذي جعل القرآن صاحبه في دنياه، لا يفارقه في صباحه ومساءه؛ يُكثر من تلاوته، ويختمه تلو الختمة، ويأنس به أنس القلب بسكّنه، ويحتكم إليه في أموره كلها، ويجد في آياته لذةً لا تُضاهيها لذة.

هو الذي يحيا مع القرآن حياةً دائمة، يتغذى به فكره، وتطمئن به روحه، وتستقيم به طريقه، فلا يعرف هجرًا للقرآن ولا بُعدًا عنه.



(٥) هنيئاً لأهل القرآن

هنيئاً لأولئك الذين إذا ذكروا ذكروا معهم القرآن، فاقتربت أسماؤهم بنوره، وارتبطت سيرتهم بكلام الله، فكانوا له أهلاً، وكان لهم شرف الذكر ورفعته الأثر.

(٦) نور الفجر

إذا أديت صلاة الفجر في المسجد، ثم أقبلت على الأذكار بقلبٍ حاضرٍ خاشع، شعرت بنورٍ يتسلل إلى قلبك، وسكينةٍ تغمر روحك. إنها لحظات القرب من الله التي تُحيي القلب وتُثير الطريق، فكلما ازدادت قرباً منه، ازدادت حياتك إشراقاً وطمأنينةً وخيراً.

(٧) الذكرُ توفيقٌ واصطفاءٌ

من أعظم نعم الله عليك أن يختارك لذكره، ويجعل لسانك رطباً به، فتكون من أهل القرب الذين يُذكرون في الملاء الأعلى، ولن توفق لذكره إلا بتوفيقه وفضله.

فمن أذكار الاستيقاظ من النوم: «الحمد لله الذي عافاني في جسدي، وردَّ عليَّ رُوحِي، وأذن لي بذكره».



(٨) رفعة الذكر

احرص أن يكون اسمك معروفاً في السماء بكثرة ذكرك له سبحانه في الأرض.

قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [سورة البقرة: آية ١٥٢].

وقال تبارك وتعالى في الحديث القدسي: «مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ»^(١).

(٩) الذكر حياة

ما من حال يمر بك إلا وللذكر فيه نصيب:

في يقظتك ونومك، وطعامك وشرابك، وفراغك وشغلك، وغضبك ورضاك، وهمك وراحتك.

كأن الوحي يريد أن يبقى قلبك موصولاً بالله في كل تفاصيل حياتك؛ لتدرك أن ذكر الله ليس كلمات تُقال فحسب، بل حياة تُعاش.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ». قالوا: وما المفردون؟ قال: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ»^(٢).

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم (٢٦٧٦).



(١٠) حصن آية الكرسي

آية واحدة إذا قرأتها كانت لك حصناً وحفظاً بإذن الله، تحفظك من الشيطان وتكون سبباً في رعاية الله لك، فمهما اجتمع الحُرَّاس وكثروا، لن يبلغوا ما بلغه حفظ الله لعبده؛ فأية الكرسي إذا قرئت بإيمان واحتساب، كانت كفاية ووقاية بإذن الله في ليلك.

جاء في الحديث: «إِذَا أُوتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، تَكُنْ فِي حِفْظِ اللَّهِ وَرِعَايَتِهِ، وَلَا يَقْرُبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ»^(١).

(١١) حاجتنا للتوبة والاستغفار

إذا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، يقول: «والله إني لأستغفرُ الله وأتوبُ إليه في اليوم أكثر من سبعين مرّة»^(٢).

فكيف بنا نحن المذنبين المقصّرين؟

نحن أولى بلزوم الاستغفار، وكثرة التوبة، ودوام الرجوع إلى الله دون انقطاع، فهي حياة القلب وطريق النجاة، وبها يُجبر التقصير وتُمحى الزلات.

(١) رواه البخاري (٣٢٧٥).

(٢) رواه البخاري (٦٣٠٧).



(١٢) بِمَاذَا يَنْشَغِلُ قَلْبُكَ!

إذا أردت أن تعرفَ قدرك عند الله، فانظر إلى ما شَغِلَ به قلبك، وفي أي طريقٍ جرى سعيك، وما الذي صار همَّك الأكبر، فتفقّد قلبك عند الطاعة والمعصية:

* فمن وجد في قلبه ألمَ المعصية وانكسارها، وسُرورَ الطاعة وقبولها، فذلك قلبٌ حيٌّ قريبٌ من الله.

* وأما من استوى عنده الحلال والحرام، وصار لا يبالي بما يكتسب، فقد قسا قلبه وغفل عن ربه.

فالقلب إن لم يُشغَل بالحق، شُغِلَ بالباطل، وإن لم يُقَمِّمهُ النور، أطفأته الغفلة.

(١٣) نعيم الطاعة والجزاء

من رحمة الله تعالى وفضله على عباده المؤمنين أنه يُلقِي في قلوبهم سكينَةً وطمأنينة، ويمنحهم سعادةً تنبع من أعمال الطاعة والبر، فيجدون في العبادة لذةً وراحةً تُبارك حياتهم وتشرح صدورهم.

وهو سبحانه مع ذلك يُكرمهم في الآخرة أعظم الإكرام، فيدخلهم جنته برحمته وفضله.



ولو كانت الطاعة مجرد تكليفٍ شاق بلا لذةٍ ولا أثرٍ في القلوب،
لشقت على النفوس وثقلت عليها، لكن من تمام كرمه سبحانه أن جعل
للطاعة حلاوةً في الدنيا، وجعل جزاءها نعيمًا مقيمًا في الآخرة.

(١٤) الجنة لا يدخلها إلا الطيبون

لا يدخل الجنة إلا من طابت عقيدته، وطابت أقواله، وطابت أفعاله،
وطابت سريرته وعلانيته.

فهم الذين يُستقبلون عند أبوابها بقول الملائكة: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ
طَبِئْتُمْ فَأَدْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [سورة الزمر: آية ٧٣].

فهنيئًا لمن طاب قلبه في الدنيا، فنال طيب المقام في الآخرة.

(١٥) ونام الأرواح في الجنة

من لطيف ما يُذكر في نعيم الجنة أن الله تعالى إذا بدّل الخلق بدّل معه
الطباع، فيصير أهل الجنة على قلبٍ واحدٍ وخُلُقٍ واحدٍ، لا اختلاف بينهم
ولا تنافر، ومن تمام النعيم أن تجد من حولك يشاركك الطبع والميل،
فيفرح لفرحك، ويحب ما تحب، فكأن الأرواح هناك قد صيغت على
وئامٍ واحدٍ.



(١٦) المسجد موطن الرحمات

كم من الرحمات والخيرات تنزل على من يمكث في المسجد بعد الصلاة، ومع ذلك يُبادر كثيرٌ من الناس بالخروج سريعاً، ولو علموا ما في البقاء من فضلٍ وبركةٍ لا اغتنموه.

وقد قال النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيَّ أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ، مَا لَمْ يُحَدِثْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ**»^(١). فهي لحظات رحمةٍ ودعاء، جديرةٌ بأن تُملأ بالذكر والاستغفار، رجاء مغفرة الله ورحمته. بل إن الداخل إلى المسجد يبدأ بدعائه: «**اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ**»، فكيف لا يحرص على البقاء في موضعٍ تُفتح فيه أبواب الرحمة وتنزل فيه البركات.

(١٧) الفرج يبدأ من سجدة

سجدةٌ في ظلمة الليل، تُبدل من حالٍ إلى حال، وتشفي من مرضٍ قد طال، وتُزيل همًّا أثقل البال. فلا تستهن بركعةٍ خاشعة، ولا بدعوةٍ خرجت من قلبٍ منكسر؛ فربَّ سجدةٍ في جوف الليل كانت بداية فرج، ونهاية حزن، وفتحاً لم يكن في الحسبان.

وكيف ينامُ في الأسحار عبداً له في النفس عند الله حاجة

(١) رواه البخاري (٦٥٩).



(١٨) درجات الجنة تنال بالسجود

يقول الله تعالى: ﴿وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [سورة الإسراء: آية ٢١].

في الدنيا نرى الناس يختارون مساكنهم بعناية؛ حيٌّ أعلى من حيٍّ، وشقةٌ تُفضَّلُ على أخرى لميزةٍ أو موقعٍ، ولو كان الفرق متقارباً في كل شيء، لبذلوا في سبيل ذلك المال الكثير.

فكيف إذا انتقلنا إلى الآخرة، حيث الارتفاع ليس بمالٍ ولا بجهدٍ دنيوي، بل بسجدةٍ صادقةٍ بين يدي الله؟!!

سجدةٌ واحدةٌ يرفع الله بها العبد درجةً، ويحطُّ بها خطيئةً، ويبدلُ بها منزلته في جنات النعيم.

وقد قال النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةٌ»^(١).

فما أعظم تجارة من يسجد لله اليوم، ليُرفع غداً في منازل الخلود.

(١) رواه مسلم (٤٨٨).



(١٩) ما أعظم كرم الله!

من يسير الأعمال التي ينال بها العبد رضا ربّه: حمدُه سبحانه على النعم.

يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، وَيَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا»^(١). فسبحانه ما أكرمه! أعطى النعمة، ويسّر أسبابها، ثم ألهم العبد حمده عليها، وجعل هذا الحمد سبباً لنيل رضاه.

(٢٠) عطاء لا يُحد

استجاب الله تعالى لنيّه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ سبعَ رغباتٍ دُفَعَةً واحدةً؛ لذلك احشد رغباتك كلها ولا تستثنِ ولا تتأخر، فربك قد يقول لك: قد أوتيت سؤلك.

(٢١) قيمة العلم في نفعه

العلم شرفٌ عظيم، وقد أمر الله نبيّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يطلب الزيادة منه فقال: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(١١٤) [سورة طه: آية ١١٤].

(١) رواه مسلم (٢٧٣٤).



وكان من هديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يسأل الله العلم النافع، فيقول: «اللَّهُمَّ
إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا».

وكان يستعيز بالله من العلم غير النافع، مما يدل على أن المقصود
ليس كثرة المعلومات، بل أثرها في القلب والعمل.
فالعلمُ النافعُ ما أورث القلبَ خشيةً والعملَ صلاحًا، وما سوى
ذلك فربما كان وبالاً على صاحبه، فالميزان الحقيقي ليس: كم تعلمت؟
بل: ماذا صنع العلمُ في قلبك؟

(٢٢) كيف كانت بداية الشيخ السعدي؟

في كتاب مواقف اجتماعية يذكر محمد السعدي أن جدّه ناصر
السعدي كان يأخذ ابنه الصغير عبد الرحمن السعدي إلى حلقة التعليم،
فكان كثير البكاء، حتى قال والده يومًا: «هذا الولد كلما ذهبنا به إلى
الحلقة جلس يبكي... والله المدبّر».

ثم دارت الأيام، وإذا بذلك الطفل الباكي يصبح واحدًا من كبار
علماء الأمة، وإمامًا في العلم والتفسير، فلا تستعجل على البدايات، فكم
من طفلٍ تعثر أول الطريق، ثم فتح الله له أبواب المجد والقبول.



(٢٣) الشنقيطي بين المحراب ومجلس العلم

في كتاب صفحات من حياتي يذكر الشيخ عمر الأشقر مشهداً مهيباً في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، حيث اجتمع في مسجدها للتعليم ثلاثة من كبار علماء العصر: محمد الأمين الشنقيطي صاحب أضواء البيان، وعبد العزيز بن باز، ومحمد ناصر الدين الألباني.

وكان الشيخ ابن باز رَحْمَةُ اللَّهِ يُلْحَقُ على الشيخ الشنقيطي أن يؤمَّ الناس في الصلاة، فإذا تقدّم ارتبك ارتباكاً شديداً، حتى إنه لا يقول: «استووا، اعتدلوا»، بل يشرع مباشرة في التكبير من شدة هيئته وحياء نفسه، لكن العجب كل العجب أنه إذا جلس في مجلس العلم، انطلق ببحرٍ من الفوائد، وأبهر الحاضرين بعلمه الراسخ وبيانه العجيب.

(٢٤) ابن باز وتعظيم الأذان

من جميل ما يُذكر في سيرة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحْمَةُ اللَّهِ، عظيمٌ تعظيمه لشعيرة الأذان.

فكان إذا تهيأ للوضوء وسمع المؤذن، وقف ولم يدخل دورة المياه، حتى يُردد الأذان كاملاً، ثم يأتي بالأذكار الواردة بعده، وبعد ذلك يذهب ليتوضأ. وهكذا يكون تعظيم الشعائر؛ حضورٌ قلب، وأدبٌ مع ذكر الله، واستشعارٌ لعظمة الأذان وما يحمله من توحيدٍ وذكرٍ لله.



(٢٥) ثمار السنين في كتب الطبري

الإمام محمد بن جرير الطبري، إمام المفسرين، لم يبدأ في تأليف تفسيره إلا بعد أن بلغ الستين من عمره، حين اكتمل نضجه العلمي واشتد رسوخه في العلم.

وكذلك كتابه المشهور [تاريخ الطبري]، لم يشرع في تصنيفه إلا وهو في السبعين من عمره.

وهذا يدل على أن بعض أعظم المؤلفات لا تولد في بدايات العمر، بل تُصاغ بعد سنين من التراكم والخبرة، حين ينضج الفكر ويستقر العلم.

(٢٦) العلم يرسخ بالتعليم

يقول الفيزيائي ريتشارد فاينمان: «إذا أردت أن تُتقن شيئاً ما، فقم بتدريسه لغيرك، إن أعظم طريقة للتعلم هي أن تُعلم».

وبالتجربة يتبين أن من أقوى أسباب رسوخ العلم وإتقانه: تعليمه للآخرين، فالتدريس يكشف مواضع الفهم ويثبت المعرفة في الذهن.



(٢٧) ميزان القراءة

بعض الكتب تمنحك أكثر مما تستنزفه منك، وأخرى تستهلك منك الوقت والجهد والمال أكثر مما تُضيف إلى رصيدك من الفهم والمعرفة. فكن واعياً في اختياراتك، وراقب أثر ما تقرأه في نفسك: هل يفتح لك آفاقاً جديدة، ويُغني فكري، ويزيدك وعياً بالحياة؟ أم أنه مجرد استنزاف لا يترك خلفه إلا ثقل الوقت؟
فالقراءة ليست كثرة ما يُقرأ، بل قيمة ما يُنتقى ويُستفاد منه.

(٢٨) الناس كالكتب

من جميل ما قرأت للدكتور خالد الدريس قوله: «الناس كالكتب: شخصٌ تقرأه في شهر، وآخر في شهرين، وثالث قد تفهمه بعد عام، وهناك من لا تحتاج لقراءته أصلاً».

وتأمل هذه الحكمة؛ فهي تشير إلى اختلاف طبائع البشر وعمق شخصياتهم، فبعضهم ينكشف لك سريعاً، وبعضهم لا تُدرك حقيقته إلا بعد زمن وتجارب، وآخرون قد لا يستحقون أصلاً أن تُتعب نفسك في فهمهم أو القرب منهم، فالحياة ليست في كثرة من نعرف، بل في جودة من نفهم ونختار.



(٢٩) حين تقود الكتب إلى ما لم يُتوقع

كان المفكر مالك بن نبي يعمل على بحثٍ علمي، فاحتاج إلى مراجع باللغة الفرنسية، وكلما ذهب إلى المكتبة وجدها قد سبقته إليها امرأة تهتم بالمجال نفسه، فتعرّف عليها، ثم كانت تلك المعرفة بداية ارتباطٍ انتهى بالزواج.

ويُروى في معنى قريب أن أحد طلاب العلم تزوّج زوجة أحد العلماء بعد وفاته، رغبةً في الاستفادة من مكتبته والعناية بتراثه العلمي، فكان ذلك سبباً في وصوله إلى كنوزٍ من العلم لم يكن يتوقعها، وهكذا قد يبدأ الطريق بكتاب، ثم ينتهي بصحبةٍ وعشرةٍ وأثرٍ ممتد.

(٣٠) ميزان المشاعر في الحياة

«من أكبر أخطائي أنني كنت أمر على لحظات الفرح مروراً عابراً، وأعيش الحزن بكل مشاعري».

هذه العبارة هي اقتباس شهير للروائي والكاتب البريطاني سومرست موم في أواخر أيام حياته، وتلخص تجربة إنسانية عميقة في النظر إلى الحياة.



فكثيرٌ من الناس يقعون في هذا الخطأ دون وعي؛ يمرّ الفرح عليهم سريعاً دون توقف أو امتنان، بينما يتضخم الحزن في داخلهم ويأخذ من مشاعرهم أكثر مما يستحق.

والحكمة أن يُعاش الفرح بوعي وامتنان، ويُعامل مع الحزن بميزانٍ لا يطغى فيه على بقية تفاصيل الحياة، فليست الحياة حزناً خالصاً ولا فرحاً دائماً، وإنما مزيجٌ يحتاج إلى وعيٍ واتزانٍ.

(٣١) وهم المقارنة

لو كان هدف الإنسان أن يكون سعيداً فحسب، لكان الطريق إلى السعادة أيسر بكثير، لكن كثيراً من التعقيد يأتي من رغبتنا أن نكون أسعد من غيرنا.

فنقيس سعادتنا بعيون الآخرين، ونظن أنهم يعيشون ما هو أفضل مما نعيشه، فتتشكل لدينا صورة غير دقيقة تزيدنا قلقاً بدل أن تقربنا من الرضا.

ولو أدرك الإنسان أن لكل أحد همومه وظروفه الخفية، وأن السعادة ليست سباقاً مع الآخرين، لخفّ عنه كثير من التعب، واطمأن قلبه بما قُسم له.



(٢٢) فقه الحياة وتقلباتها

من لم يبين نظرتَه للحياة على الواقعية، سيُتعبه اصطدامه بتقلباتها؛ فالدنيا لا تدوم على حال، بل هي مزيجٌ من الفرح والحزن، والراحة والتعب، والقوة والضعف، والغنى والفقر.

ومن فهم هذا هانت عليه المصائب، لأنه يعلم أن البلاء جزءٌ من طبيعة الحياة، وأن وراءه حكمةٌ وأجرًا.

وقد قال ابن تيمية: «العوارض والمحن هي كالحرّ والبرد، فإذا علم العبد أنه لا بدّ منهما، لم يغضب لئورودهما، ولم يغتمّ لذلك، ولم يحزن»^(١).

فالمؤمن ينظر إلى المحنة بعين الإيمان، فيرجو ما فيها من تكفيرٍ للذنوب، ورفعةٍ للدرجات، وزيادةٍ في الحسنات، فيطمئن قلبه ويحمد الله في السراء والضراء.

(٣٣) نعمة انشراح الصدر

الإكثار من دعاء: «رَبِّ اشْرَحْ صَدْرِي» من أعظم أسباب الطمأنينة؛ فبه تُفتح أبواب السكينة ويخفّ ثقل الهموم، وقد امتنّ الله على نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذه النعمة فقال: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [سورة الشرح: آية ١]،

(١) مدارج السالكين (٤/ ٣٥٩).



وكان أول دعاء لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في طريق دعوته ومواجهة فرعون: ﴿رَبِّ
أَشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [سورة طه: آية ٢٥]

فانشراح الصدر نعمة عظيمة تُهَوِّنُ المصاعب وتملأ القلب رضا
وسكينة، ومن وهبها فقد وهب خيراً كثيراً.

(٣٤) التأمل في النعم يذهب الهم

من أعظم أسباب زوال الهم استشعار نعم الله والتفكر فيها؛ فقبل أن
تنشغل بما فقدت، تأمل ما لديك من نعم لا تُحصى: أمنٌ وصحة، سمعٌ
وبصر، رزقٌ وعافية، وغيرها.

فكيف يُقاس همٌّ محدود بنعمٍ عظيمة تحيط بالإنسان من كل جانب؟!
يقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «وكلما طال تأمُّلُ العبدِ في نِعَمِ اللهِ
الظاهرةِ والباطنةِ، الدينيةِ والدنيويةِ، رأى رَبَّهُ قد أعطاهُ خيراً كثيراً، ودفع
عنه شروراً متعددةً، ولا شكَّ أنَّ هذا يدفعُ الهمومَ والغمومَ، ويوجبُ
الفرحَ والسرورَ»^(١).

فاستحضار النعم والتفكر فيها من أعظم ما يملأ القلب رضا
وطمأنينة، ويذهب عنه الهم والحزن.

(١) الوسائل المفيدة للحياة السعيدة (١ / ٢٢).



(٣٥) صلاحُ البال

أعظم النعم التي يتمناها الإنسان في حياته راحةُ البال وطمأنينةُ القلب، ولذلك امتنَّ الله بها على عباده المؤمنين فقال: ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [سورة محمد: آية ٢].

فصلاحُ البال نعمةٌ عظيمة، بها تهون المتاعب وتطمئن النفوس، وإذا اجتمع معها تكفير السيئات ثم الفوز بالجنة، فقد اكتملت سعادة العبد في الدنيا والآخرة.

فإذا دعوت الله، فلا تنس أن تسأله صلاحُ البال، فإنها من أجمل عطايا الله لعباده.

(٣٦) بين يدي مالك الملك

كان أحدهم كلما مرَّ ببلاءٍ يقول: «مالك يتصرف في أملاكه، حكيمٌ لا يفعل شيئاً عبثاً، فالأرض أرضه، ونحن عباده فليفعل فينا ما يشاء فإننا إن شاء الله صابرون».

فإذا تيقن القلب أن المدبّر حكيمٌ رحيم، سكنت النفس واطمأنت مهما اشتد البلاء.



(٣٧) طريق الرضا

طريقُ الرضا أن يُعلّق المسلم قلبه بالله في كل حال، فيحمده على ما يُحبّه كما يحمده على ما يكره، إدراكًا أن كِلا الحالين بقدرٍ وحكمة. فما يقدره الله وإن بدا مكروهًا، قد يحمل في طيّاته خيرًا لا يراه العبد في حينه، لكنه يُثمر له نضجًا ورفعةً وأجرًا. ومن ذاق هذا المعنى، عاش مطمئن القلب، ثابت الروح، راضيًا بما قسم الله له، يعلم أن اختيار الله له خيرٌ من اختياره لنفسه.

(٣٨) الحزن في ميزان الشرع

الحزن ليس مأمورًا به في الشرع، لا في المصائب ولا في غيرها، بل جاء النهي عنه في مواضع، وإن ورد في القرآن ما يدل على نوعٍ منه يكون بحسب الحال.

وقد جاء في القرآن النهي عن الحزن مثل:

* قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [سورة آل عمران: آية ١٣٩].

* وقوله: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة الحجر: آية ٨٨].

* وقوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [سورة التوبة: آية ٤٠].

* وقوله: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ [سورة يس: آية ٧٦].



ووجه ذلك أن الحزن في نفسه لا يجلب نفعاً ولا يدفع ضرراً، ولذلك لا يُطلب شرعاً، ولا يُمدح لذاته، لكنه لا يأثم به العبد ما لم يصحبه قولٌ أو فعلٌ محرم.

وقد قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ، وَلَا بِحُزَنِ الْقَلْبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا، وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ»^(١).

فالعبرة بما يصدر عن القلب من قول أو عمل، لا بمجرد ما يمرّ به من مشاعر، مع بقاء التوجيه الشرعي إلى الصبر والرضا وحسن التوكل على الله.

(٣٩) علاج ضيق الصدر

يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعَّمْنَا أَنْكَ يَضِيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾

[الحجر: ٩٧-٩٩]

عند ضيق الصدر وكدر النفس أرشد الله نبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إلى أعظم ما يُفَرِّج الكرب: التسبيح، والتحميد، والسجود، ودوام العبادة. فمن اشتغل بذكر الله وعبادته، انكشفت له أنوار الطمأنينة، فتَهون عليه الدنيا، وتضعف في قلبه قيمتها، فلا يجزع لفقدائها ولا يطمئن لوجودها، وبذلك يزول عنه الحزن والهم.

(١) رواه مسلم (٩٢٤).



(٤٠) لا مستحيل مع الله

ما كان مع زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ من الأسباب إلا شبيهةً رأسه، وامرأةً عاقر، ومع ذلك جاءت البشرية: ﴿يَزَكَّرِيَا إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ [سورة مريم: آية ٧]. فليست القضية كثرة الأسباب أو ضعفها، بل قلبٌ امتلاً يقيناً بقدره الله. وكلما تسلل إلى قلبك اليأس، أو زارك الإحباط، فاكسره بطمأنينة الوحي: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ [سورة مريم: آية ٩].

(٤١) ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾

هون عليك يا صاحبي: فتلك الدموع التي انسكبت حزناً، سيعقبها فرحٌ بإذن الله، وتلك الآلام التي أرهقتك ستزول، ويتبعها راحةٌ وسكينة، تفاعل وأحسن الظن؛ فالله أرحمُ بك من نفسك، وما يخبئه لك أوسعُ من ألمك، فالدنيا لا تثبت على حال، وما بعد العسر إلا يسر، وما بعد الضيق إلا فرج.

(٤٢) ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾

دوماً تأسرني هذه الآية، وتدفع فكري ليغوص بعيداً في معانيها العظيمة، فهي تقلب موازين الدنيا وتكشف زيفها، ففي ميزان الحق الرباني لا اعتبار لمظاهر الرفعة الزائفة، فمن تواضع لله رفعه، ومن تكبر أذله وخفضه.



فلا تغتر بارتفاع في الدنيا على معصية، ولا تحزن لانخفاض مع طاعة، فالحقيقة هناك، يوم يُعطي كل إنسان مقامه الذي يستحقه.
فكم من مرفوع اليوم يُخفض غداً، وكم من مستخف به في الدنيا يُصبح من سادات الموقف يوم القيامة.

(٤٣) سفينة الحياة

الإنسان في هذه الحياة كالسفينة في لُجج البحر؛ تتأثر بالأموج صعوداً وهبوطاً واضطراباً.
ولا يملك أن يغيّر حركة ما حوله من تقلبات، لكنه يملك أن يثبت دقته، ويوازن سيره، ويهتدي إلى مقصده، فلا يُكثر العتب على الدنيا، ولكن ليجتهد في ضبط نفسه وإصلاحها؛ ففي ذلك نجاته.

(٤٤) بركة الأهل الصالحين

من رزقه الله أباً صالحاً، أو أمّاً صالحاً، أو زوجةً صالحاً، أو ولداً صالحاً، أو قريباً صالحاً؛ فليحفظ هذه النعمة ويكرمها، ويُحسن إليها، فلعلها تكون سبباً في رفعة درجاته عند الله.
فمن فضل الله أن يجمع أهل الإيمان بأحبتهم في الجنة، ويلحق الأدنى بالأعلى تكرماً وإحساناً، لا نقصاً في الأجر، بل فضلاً من الله ورحمة.



قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾ [الطور: ٢١].

(٤٥) وفاءٌ بقي بعد الفراق

من المواقف العجيبة والجميلة في فتاوى الشيخ محمد العثيمين رَحْمَةُ اللَّهِ، أن رجلاً سأله فقال: أريد أن أحجّ عن طليقتي؛ لأنها مريضة لا تستطيع الحج، وفاءً وتقديرًا للعشرة التي كانت بيننا.

فأجابه الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ: «إذا كانت عاجزةً عجزاً لا يُرجى زواله، فأخبرها حتى تُوكِّلك بالحج عنها».

ما أجمل الوفاء حين يبقى في القلوب حتى بعد الفراق، وما أندر النفوس التي تحفظ المعروف ولا تنسى أيام العشرة والإحسان.

(٤٦) مشهدٌ موجد

بنبرة حزينه قال لي أحد كبار السن: «لي ولدٌ لم أراه منذ سنتين!» سألته: ولماذا؟ قال: «صاحب أهل السوء فتركنا...» ثم يدعو له حيناً، ويدعو عليهم حيناً.

لو علم الابن العاقُّ ما يخلفه في قلب أبويه من ألم وحرقة، ما طابت له حياة، ولا هنأت له نفس، فيا من ابتعدت: ارجع، فقلوبٌ والديك تنتظرك كل يوم.



(٤٧) الفراق لا يستأذن

أحبّوا بعضكم، وأحسنوا السؤال عمّن تحبون؛ فالفراق لا يسبقه إنذار، ولا أحد يدري أيُّ لقاء سيكون الأخير، وأيُّ كلمة ستكون الوداع الأخير.

تحملوا زلات بعضكم، وتجاوزوا عن الهفوات ما استطعتم، فكم من إنسانٍ تمنى بعد الرحيل فرصةً واحدة ليقول كلمةً طيبةً أو يصلح خاطرًا كسره.

وتذكروا دائماً: الكلمة الحانية في حياة الإنسان، خيرٌ من دمةٍ على قبره بعد رحيله.

(٤٨) قيمة الإنسان عند الرحيل

عند رحيل الإنسان، لا ينشغل الناس كثيراً بكتبه أو ألقابه أو سعة علمه، وإنما يبقى ذكره في قلوبهم مرتبطاً بأمرين: صلته بربه، وصلته بالناس.

وصدق رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حين قال: **«أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ: تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ»** (١).

(١) رواه الترمذي (٢٠٠٤) وحسن إسناده الألباني.



(٤٩) لحظة وداع لا تنسى

في حياتي فقدتُ كثيراً من الأحبة والمعارف، ورحل عني أناسٌ أحببتهم، لكن الدمع لم ينسكب لفراقهم، غير أن موقفاً واحداً فقط قلبَ ذلك الشعور كله وأيقظ ما كان ساكناً في القلب.

فقد رحلت إحدى الأمهات الطيبات من الجيران، ورأيت ابنها يقف أمام قبرها، يُهال التراب عليها بيديه، يودّعها.

تلك الأم التي كانت عينه تأنس برؤيتها كل صباح ومساءً، والتي كان يحوطها بعطفه ورعايته، أصبحت اليوم بين يديه تُوارى الثرى.

لم أستطع تمالك نفسي أمام هذا الموقف، وانهمرت دموعي، وتسلل إلى قلبي سؤال ثقيل: كيف تُستكمل الحياة بعد رحيل الأم؟

رحم الله كل أم رحلت، وجعل لهم من بعدهنّ صبراً ووعوذاً جميلاً، وحفظ من بقي منهنّ على البرِّ والصلاح.

(٥٠) رحمة الله بالوالدين في فقد الولد

كنتُ أتأمل ما جاء في صحيح مسلم من رحمة الله بالوالدين الذين فقدوا ابنهم قبل البلوغ، وكيف يبذل الله ألم الفقد إلى سكينَةٍ وأمل، ويجعل من ذلك الابتلاء باباً من أبواب الكرامة.



حيث ورد عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «**صِغَارُهُمْ دَعَامِيصُ الْجَنَّةِ، يَتَلَقَّى أَحَدُهُمْ أَبَاهُ - أَوْ قَالَ: أَبُوهُ - فَيَأْخُذُ بِثَوْبِهِ - أَوْ قَالَ: بِيَدِهِ - كَمَا آخُذُ أَنَا بِصِنْفَةِ ثَوْبِكَ هَذَا، فَلَا يَتَنَاهَى - أَوْ قَالَ: فَلَا يَنْتَهَى - حَتَّى يُدْخِلَهُ اللَّهُ وَأَبَاهُ الْجَنَّةَ**».

فتأملتُ هذا الفضل العظيم، وهذه الرحمة الواسعة، وكيف أن الله سبحانه يجبر قلوب الوالدين عند أعظم مواطن الألم، فيجعل فقد الولد ليس نهايةً للحزن، بل بدايةً لعوضٍ أعظم ووصالٍ في دار النعيم. فما أرحم الله بعباده، وما ألطفه بقلوبٍ انكسرت فجبرها بجنةٍ ورضوان.

(٥١) رحمةُ الله أوسع

شاهدتُ مقطعاً لطفلٍ في الحرم المكي ضاع عن أمه وأخته، فوقف معه رجالُ الأمن حتى عُثر على أهله، وما إن رآته أمُّه حتى انفجرت الدموع، وضمَّته إلى صدرها، وبكت الأخت، واجتمع الشوق والرحمة في مشهدٍ تهتزُّ له القلوب، فتذكَّرتُ حينها قول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**أَتَرُونَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟**» قالوا: **لَا، وَهِيَ تَقْدِرُ أَلَّا تَطْرَحَهُ**. فقال: **لِلَّهِ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلِدَهَا**».

فيارب، إذا كانت هذه رحمةً مخلوقٍ بمخلوق، فكيف برحمتك الواسعة التي وسعت كلَّ شيءٍ؟



(٥٢) رحمة الله بأصحاب الديون

من جميل ما ذكره المناوي رَحْمَةُ اللَّهِ في فيض القدير عند شرحه لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ»^(١)، أنه بين معنى قوله: «أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ» بأنه خبرٌ يفيد أن الله تعالى ييسر له الوفاء، ويعينه عليه، ويوسع له في رزقه حتى يقضي ما عليه.

ويجوز أيضاً أن يفهم على أنه دعاءٌ له بصيغة الخبر، كأن فيه بشارةً وتوجّهاً من الله بالتيسير.

ثم أشار إلى معنى دقيق، وهو أن من نوى السداد ثم مات قبل أن يؤديه، لعجزٍ أو فجأة، فإنه لا يؤخذ به في الآخرة، ولا يؤخذ من حسناته، بل يتكفل الله برضا ربِّ الدين^(٢).

فما أعظم رحمة الله، وما أوسع كرمه، وما أرفقه بعباده.

(١) رواه البخاري (٢٣٨٧).

(٢) ينظر: فيض القدير (٦ / ٤١).



(٥٣) الذوق في النصح وتصحيح الخطأ

زار الإمام أحمد بن حنبل أحد أصحابه ليلاً، فلما خرج إليه قال له الإمام بلطفٍ وأدب: «شغلت قلبي اليوم، مررت بك وأنت تُحدّث الناس، فكنت في الظل وهم في الشمس، فإذا جلست إلى الناس فاجلس حيث يجلسون، ولا تختصّ نفسك بمكانٍ دونهم».

ما أعظم هذا الذوق في النصح! فلم يُحرجه أمام الناس، ولم يُغلظ عليه، بل اختار وقتاً مناسباً، وكلماتٍ رفيقة، وقلباً مشفقاً، فكان تصحيحه تربيةً قبل أن يكون عتاباً.

وهكذا تكون النصيحة الجميلة: رفقٌ في العبارة، وسرٌّ في التوجيه، ورحمةٌ تُصلح القلوب.

(٥٤) الذوق في تقديم الإحسان للناس

ذُكر عند الإمام مالك بن أنس موقفٌ أعجبه من فعل الربيع بن خثيم، فقد كان يصنع ألوان الطعام الفاخر الذي لا يُقدّم عادةً إلا لكبار الناس وأشرفهم، ثم يدعو إليه الفقراء والمساكين.

فعاتبه بعض الناس وقالوا: هذا الطعام يكفي فيه الأشراف، أما الفقراء فيغنيهم أيُّ طعام!



فقال كلمته العظيمة: «إن هؤلاء لا يجدون مثله، فأحببتُ أن أذيقهم إيّاه».

ما أرقّ هذا الذوق، وما أعمق هذا الإحسان!
فليس الكرم أن تُشبع بطون الناس فحسب، بل أن تُشعرهم بالكرامة،
وأن تُدخل على قلوبهم معنى العناية والاحتراف.

(٥٥) نقلُ الخير من أخلاق الكرام

قد يسمع الإنسان في مجلسٍ ما ثناءً على قريبٍ أو صديقٍ له وهو غائب، ومن كريم الخلق أن يُبادر إلى إبلاغه بذلك؛ لما فيه من إدخال السرور وتوثيق المودة.

وقد ذكر أبو حامد الغزالي أن من حقوق الصحبة الثناء عليه بما هو أهلٌ له، ثم قال: «وَأَكْثَرُ مَنْ ذَلِكَ أَنْ تُبَلِّغَهُ ثَنَاءً مِنْ أَثْنَى عَلَيْهِ مَعَ إِظْهَارِ الْفَرَحِ، فَإِنَّ إِخْفَاءَ ذَلِكَ مَحْضُ الْحَسَدِ»^(١). وفي ذلك ترسيخٌ لمعنى صفاء القلوب ونشر المحبة بين الناس.

(١) إحياء علوم الدين (٢/ ١٨١).



(٥٦) لا تستصغر الخير

لا تحتقر أي عمل صغير، وأحسن ما استطعت: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]. والله لا يُضيع أجر المحسنين.

جاء في الأثر كما في صفة الصفوة: عن سفيان قال: «جاء رجل من أهل الشام، فقال: دُلُّوني على صفوان بن سليم فإني رأيتُهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ. فقلتُ: قال: بقميص كساه إنسانًا، فسأل بعض إخوان صفوان عن قصة القميص فقال: خرجت من المسجد في ليلة باردة فإذا رجل عارٍ فنزعتُ قميصي فكسوته». فكم من عمل يسير عند الناس، عظيم عند الله، يرفع به الله الدرجات ويكتب به النجاة.

(٥٧) لا تجعل المظهر ميزانك

قد ترى إنسانًا بسيطًا في عينيك، لكنه عند أهله هو الدنيا كلها والسند بعد الله، بل قد يكون من تحتقره عند الناس وليًا من أولياء الله، وفي ذلك عبرة عظيمة فيما ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صحيح البخاري: **مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ. فَسَكَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ مِنْ قُرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ**



أَنْ لَا يُسْتَمَعَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا».

فالعبرة ليست بالمظاهر، ولكن بما يحمله القلب من إيمانٍ وصدقٍ عند الله.

(٥٨) لَا تُثْقَلْ قَلْبُكَ بِالْآخِرِينَ

بلغتُ مرحلةً لا أرهق فيها قلبي بتغيّر أحدٍ عليّ..
من أقبل رحبنا به، ومن أدبر دعونا له، حتى يسلم القلب ويرتاح.
وأذكر قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ [سورة العاديات:
آية ٦]. فإذا كان الجحود يقع في حق المنعم المتفضل،
فلا عجب أن يتغيّر المخلوق على مخلوقٍ مثله.

(٥٩) هشاشة العلاقات أمام التأويل

معظم النزاعات تبدأ من سوء فهم بسيط يُترك دون توضيح، ثم يتضخم مع الوقت حتى يتحول إلى خلافٍ كبير.
والمتأمل يرى كيف أن أجمل الصداقات قد تنتهي بسبب لحظة
سوء فهم، ما تلبث أن تتحول إلى سوء ظنٍّ بعد أن يوسوس الشيطان
ويضخم الأمر في النفوس.



والموفق حقًا من اتسع صدره للعدر، والتمس لإخوانه المخارج والاحتمالات، فلم يُسارع إلى الحكم، بل أحسن الظن، وحفظ الود ما استطاع.

(٦٠) أخلاق الكبار

لله درٌّ من تسمو نفوسهم فوق الجراح، فيعفون ويصفحون لا ضعفًا، بل رفعةً ونُبلاً، ابتغاءً طمأنينة القلب ورضا الله.

وقد اقتدوا بنبيِّ الله يوسف **عَلَيْهِ السَّلَامُ** إذ قال لإخوته: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [سورة يوسف: آية ٩٢]، فصار العفو عندهم خُلُقًا راسخًا وسلوكًا ثابتًا، ورسالةً صامته تدعو إلى الإحسان، ليكونوا قدوةً في الصفح وسمو الأخلاق.

(٦١) الدعاء يُصلح الطباع

من أعظم أسباب تغيير الإنسان إلى الأفضل صدقُ دعائه ولجؤه إلى الله، فكم من خُلُقٍ صعبٍ لئنه الله، وكم من نقصٍ أصلحه التوفيق.

وقد جاء في الطبقات الكبرى لابن سعد أن أول ما قاله عمر بن الخطاب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** حين صعد المنبر: «اللَّهُمَّ إِنِّي شَدِيدٌ فَلْيَنِّني، وَإِنِّي ضَعِيفٌ فَفَقِّونِي، وَإِنِّي بَخِيلٌ فَسَخِّنِي».

فإذا كان عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** يسأل الله إصلاح طباعه، فنحن أحوج ما نكون إلى ذلك.



(٦٢) جبرُ الحقوق بالدعاء

من الأدعية الجميلة: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ، وَلِمَنْ لَهُ حَقٌّ عَلَيَّ»
ولمن له حقٌّ عليّ: ممّن اغتبتهم أو ظلمتهم أو آذيتهم.
فلعلك بدعائك لهم واستغفارك لهم يتجاوز عنك يوم القيامة.
وقد ذكر ابن تيمية في -الفتاوى- أن كفارة الغيبة الاستغفار لمن
اغتبتة.

(٦٣) جبر الخاطر عبادة

لما رأى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واجماً ساكتاً قال:
«لَأَقُولَنَّ شَيْئاً أُضْحِكُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»^(١).
يعلق النووي رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «الإنسان إذا رأى صاحبه مهموماً حزيناً
يُسْتَحَبُّ لَهُ أَنْ يُحَدِّثَهُ بِمَا يُضْحِكُهُ أَوْ يُشْغَلُهُ وَيُطِيبَ نَفْسَهُ»^(٢).
جبر خاطر الحزين عبادة خفية، والكلمة اللطيفة في وقتها قد تخفف
الحزن وتعيد الطمأنينة للقلب.

(١) رواه مسلم (١٤٧٨).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٠ / ٨١).



(٦٤) المواقف الخالدة

في المرحلة الابتدائية، كان طفلٌ يتيم يلحظ زميله يخرج من حقيبته شطيرة غريبة الحشوة، ينساب منها الزيت، فتبدو له شهيةً تلفت النظر، راح يتأملها بصمت، ويقارن بينها وبين طعامه البسيط.

ففطن زميله الطيب لما في عينيه من جوعٍ ورغبة، فغلبته الرحمة، وقسم له نصف الشطيرة.

شعر اليتيم وكأنها هدية عظيمة، فأكلها بإعجاب شديد.

وفي اليوم التالي، تفاجأ بزميله يتسم ويخرج شطيرتين، قائلاً: إن أمه صنعت اثنتين، واحدة له وأخرى لزميله. ومنذ ذلك اليوم، صارت الأم تُرسل مع ابنها شطيرة إضافية لذلك الطفل دون أن يعرف اسمها.

وظل ذلك الموقف خالداً في قلبه، لا ينساه، وما زال يدعو لتلك الأم التي زرعت في طفولته معنى الرحمة.

المعروف لا يُنسى، والخير لا يبلى، وعطر الإنسان يبقى، وأبسط الأفعال قد تصنع في قلب إنسان أجمل ذكري، فلا تستصغر معروفاً؛ فربما كان عند الله عظيم الأثر.



(٦٥) الأمان قبل الحكاية

ليس كل أحد يفتح قلبه للناس، فالقلوب لا تُفصح عن أسرارها إلا حين تشعر بالأمان.

تأمل حال موسى حين خرج خائفاً إلى أرض غريبة، لا أهل ولا مأوى ولا معرفة.. ثم التقى رجلاً لم تطل بينهما الصحبة، ومع ذلك انساب الحديث من قلبه، فقَصَّ عليه حكايته كلّها.

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ﴾ [سورة القصص: آية ٢٥].

وكان الآية تهمس لنا بأن العلاقات الحقيقية لا تقاس بطول السنين، بل بصدق الطمأنينة التي يمنحها إنسان لآخر، فهناك أرواح تمنحك الأمان من أول لقاء، فتشعر أنك تعرفها منذ زمن بعيد.

(٦٦) خصلتان تورثان طمأنينة القلب

جاء في مختصر جامع العلوم والحكم: «دخلوا على بعض الصحابة في مرضه، ووجهه يتهلل، فسألوه: ما سبب تهلل وجهك؟ فقال: ما من عمل أوثق عندي من خصلتين: كنت لا أتكلم فيما لا يعينني، وكان قلبي سليماً للمسلمين».



ويُروى عن الشيخ ابن باز **رَحِمَهُ اللهُ** أنه سُئِلَ عن سر محبة الناس له وقبوله، فقال: لا أبيت وفي قلبي غلٌّ على أحد، ولا أعلم اثنين متخاصمين إلا سعتُ في الإصلاح بينهما.

وهاتان الخصلتان - سلامة القلب وترك ما لا يعني - من أعظم ما يورث الطمأنينة وانشراح الصدر و محبة الخلق.

(٦٧) أنفع ما للقلب

شكا رجلٌ إلى النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قسوة قلبه، فقال: «امسحْ رأسَ اليتيم، وأطعمِ المسكين»^(١).

ففي هاتين الوصيتين دواءٌ عظيمٌ يلين القلوب ويذهب قسوتها:
* فملاطفةُ اليتيم تُحيي في القلب معاني الرحمة وتذكره بفقد النعمة وزوال الدنيا، فيرقُّ بعد غلظته.

* وإطعامُ المسكين يفتح للعبد باب الشكر، حين يرى أثرَ نعمة الله عليه وإحسانه إليه، فيلين قلبه وتزول قسوته.

ولهذا قال ابن القيم **رَحِمَهُ اللهُ**: «لَيْسَ لِلْقَلْبِ أَنْفَعُ مِنْ مُعَامَلَةِ النَّاسِ بِاللُّطْفِ»^(٢).

(١) رواه أحمد (٩٠١٨) وحسن إسناده ابن حجر في فتح الباري.

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٣٤٤).



(٦٨) بسط الوجه مفتاح القلوب

رسالة لكل إمام، ومدير، ومعلم، وموظف، ولكل من يتعامل مع الناس: احرص على طلاقة الوجه والابتسامة، فإنها من أسرع الطرق إلى القلوب، وأعظم أسباب المحبة والقبول.

ومن العجيب أن بعض الناس يبذل كثيرًا من الجهد ليكسب الآخرين، ويغفل عن أمرٍ يسيرٍ عظيم الأثر: الابتسامة وبشاشة الوجه.

وقد قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كما في الحديث الذي حسن إسناده ابن حجر: **«إِنَّكُمْ لَنْ تَسْعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَسْعُهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخَلْقِ»**.

(٦٩) بعض الناس حياة

أكثر الناس أثرًا في حياتك هم أولئك الذين إذا جالستهم بعثوا فيك الحماس، وأعانوك على تجاوز الفتور، وخففوا عنك أعباء الحياة وإحباطات الواقع.

هم أرواحٌ إذا اقتربت منها شعرت بالحياة تعود إلى قلبك، فرفتهم من أثنى ما يرزق الله العبد في الدنيا.



وفي المقابل، احذر من ملازمة المتشائمين واليائسين والمحيطين؛ فبعض النفوس لا تنقل إلا العجز والضييق، حتى تسلب الإنسان قوته وهمة شيئاً فشيئاً.

فالصحبة ليست وقتاً يُقضى فحسب، بل أثرٌ يتسلل إلى القلب والحياة.

(٧٠) فخر أصحابك

قال الذهبي عن عبد الله بن المبارك في سير أعلام النبلاء: «كان يُفخّم أصحابه».

وهذه من الخصال الرفيعة التي عدّها الذهبي من مناقبه؛ ومعناها أنه كان يذكر أصحابه بخير، وينشر محاسنهم، ويعتزّ بهم، ويحفظ لهم الودّ والجميل.

ومن أجمل الوفاء أن تُعلي شأن أصحابك في حضورهم وغيابهم، لا أن تُظهر محبتهم سرّاً وتبخل بها علناً، فالنفوس تُسعدّها الكلمة الطيبة، ويعظم الودّ حين يشعر الإنسان أن له مكانةً في قلب صاحبه ولسانه.



(٧١) أدب السؤال

يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ»^(١).

ومن كثرة السؤال ما يكون سببًا في إحراج الناس وإيذاء مشاعرهم، أو كشف ما لا يحبون إظهاره، أو دفعهم إلى الكذب أو الضيق.

ومن تلك الأسئلة التي تُقال دون وعي:

* لِمَ لَمْ تتزوج/ ي بعد؟ متى نفرح بكِ وأنتِ أم؟

* لماذا لم تقبل في الوظيفة؟

* كم راتبك؟

* لماذا تأخرت في التخرج؟

* زاد وزنك هذه الأيام، ما السبب؟

وقد تكون هذه الكلمات عند قائلها عابرة، لكنها عند صاحبها جرحٌ

ثقيل.

فالأدب أن نزن كلماتنا، وأن نترك ما يُحرج الناس أو يضيّق به

صدورهم، فالكلمة إما أن ترفع القلوب أو تُتعبها.

(١) متفق عليه.



(٧٢) فنُّ الاعتذار

كتب صديقٌ إلى صديقه معذراً فقال: «مثلي هَفا، ومثلك عَفا»،
فجاءه الجواب أندى وأجمل: «مثلك اعتذر، ومثلي عَفِر».
هكذا تكون الأخوة: زلّة تُغفر، وقلبٌ يتسع، وكلمةٌ تُنهي ما عجزت
عنه الخُطب الطويلة.

(٧٣) فنُّ الاستماع

نحن بحاجة إلى أن نتعلّم حُسن الاستماع كما نتعلّم حُسن الكلام؛
فالإصغاء فنٌّ يهيئ للمتحدث أن يُكمل حديثه دون مقاطعة، ويمنحه
شعور الاهتمام والإنصات، مع إقبالٍ بالوجه وحضورٍ بالقلب، وتركِ
التعجّل في المشاركة أو الاستباق بما نعلمه من قوله.

(٧٤) الاعتدال جمال

لا تُفرط في علاقتك بالناس، وكن معتدلاً في قربك وبعُدك؛ لتسلم
من الخيبة، وتحفظ قدرك وهيتك.

قال ابن القيم: «وَصَاحِبُ الْخُلُقِ الْوَسَطِ: مَهِيْبٌ مَحْبُوْبٌ، عَزِيْزٌ
جَانِبُهُ، حَبِيْبٌ لِقَاؤُهُ»^(١).

(١) مدارج السالكين (٣/ ٣٦).



(٧٥) المنشغل بالبناء لا يلتفت للهدم

من امتلأت حياته بالعمل والرسالة والإنجاز، لم يجد في وقته متسعاً لتتبع الناس أو الانشغال بأذاهم، فالكيد والدسائس وملاحقة الزلات لا يحملها إلا فراغ الروح وضآلة الهمة، أما أصحاب المعالي فتستهلكهم أهدافهم، وتُشغلهم أحلامهم عن الصغائر.

(٧٦) ابدأ رغم النقص

ابدأ الآن، ولو بخطوةٍ مترددة، ولو بحماسٍ ناقص، ولو بمحاولةٍ غير مكتملة؛ فالبدائيات الصغيرة هي التي تصنع النهايات الكبيرة. لن تأتي اللحظة "المثالية" ولا الظروف المكتملة كما نتصورها، فالحياة في جوهرها نقصٌ وتغيّر، لا اكتمال فيها إلا بما نصنعه نحن. تقبّل هذا النقص، وامض رغم ذلك، فالحركة ولو كانت بسيطة أصدق من انتظارٍ طويل لا يُثمر.

(٧٧) ابدأ بما تستطيع

كم من فكرةٍ عظيمةٍ ومشروعٍ واعدٍ بقي حبيسَ الانتظار، لم يولد لأن صاحبه كان يطلب الكمال، حتى مات في مكانه قبل أن يرى النور، وكم أمات رغبة الكمال من مشاريع كانت قابلةً للحياة والنمو، لكنها توقفت قبل أن تبدأ.



والأصل أن يُبدأ باليسير، ولو كان بسيطاً، فالبدائيات الصغيرة تكبر مع الوقت، وتزكو بالإخلاص، ويبارك الله فيها لمن صدق النية وأحسن التوكل عليه.

(٧٨) حقيقة العطاء

كم من إنسانٍ بسيطٍ لا يُعرف بمنصبٍ ولا شهادةٍ عالية، لكنه يقدم كل يوم شيئاً نافعاً للناس: كلمة خير، أو فائدة علمية، أو مشاركة نافعة على مواقع التواصل.

وفي المقابل قد تجد من يحمل أعلى الشهادات، لكنه ينتظر ”العمل الكبير“ الذي يليق به، فتضيع الأيام وهو يترقب البداية المثالية، فلا قدم نفعاً يذكر ولا صنع أثراً حقيقياً.

فالعبرة ليست في حجم المؤهلات، بل في صدق العطاء واستمراره، ولو كان يسيراً لكنه متكرر ومؤثر.

لا تجعل انتظار الكمال يحرمك من الإنجاز، فالأعمال الصغيرة المستمرة تصنع أثراً كبيراً لا تصنعه النوايا المؤجلة.



(٧٩) سر القبول

الكلمة إذا خرجت من القلب بلغت القلوب، وإذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الأذان.

قال ذر لأبيه عمر بن ذر - وكان عالما عابدا واعظا: «إِذَا تَكَلَّمْتَ أَبْكَيْتَ النَّاسَ، وَإِذَا تَكَلَّمْتَ غَيْرُكَ لَمْ يُبْكِهِمْ؟ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ! لَيْسَتْ النَّائِحَةُ الثَّكْلَى مِثْلَ النَّائِحَةِ الْمُسْتَأْجِرَةِ»^(١).

(٨٠) طيب الأثر

يقول أحدهم: «أدركت أن الاستمرار في العتبِ تعب، والتجاهل صدقة على فقراء الأدب، وزرعان يُحبُّهما الله: زرع الشجر وزرع الأثر، فإن زَرَعْتَ الشجر ربحْتَ ظلًّا وثمر، وإن زَرَعْتَ طيبَ الأثر حصدت محبة الله ثم البشر».

مسافرٌ أنت والآثارُ باقيةٌ فاترك وراءك ما تُحبي به أترك

(١) المجالسة وجواهر العلم (٣/ ١١٠).



(٨١) اصنع أثراً بكلمتك

الكلمات التي تنشرها في وسائل التواصل قد تكون سبباً لهداية قلب، أو تذكير بسنة، أو ردع عن منكر، أو فتح لباب خير كقراءة كتاب أو تقوية الروابط الأسرية؛ فأحرص على نشر الخير، وجدّد نيتك؛ فربما كانت كلماتك باباً عظيماً من أبواب الدعوة إلى الله يُفتح لك.

(٨٢) مجدُّ الكلمة حين تصل القلوب

أن تكتب شيئاً، ثم يسير بعيداً عنك دون أن تدري، حتى يصل إلى غريب في مدينة لا تعرفها، فيقرأه ليلاً، فيسكن إلى سطورهِ، ويجد فيها ما يشبهه، فيختلج قلبه كأن الكلمات كُتبت له هو وحده.

ذلك هو جمال الكتابة الحقيقي... أن تتحول الكلمات من حبرٍ على ورقٍ إلى أثرٍ حيٍّ يلامس قلب إنسانٍ في مكانٍ بعيدٍ وزمانٍ مختلفٍ.

(٨٣) النهوض بعد السقوط

الشجرة لا تنكسر بسقوط غصن، بل تواصل نموها وتُخرج غيره.

والطائر إذا فقد ريشة لم يفقد قدرته على التحليق.

والسنابل إذا هبَّت عليها الرياح لا تسقط، بل تتماسك فتنجو.

هكذا هي الحياة؛ لا نجاح بلا عثرة، ولا نصر بلا تجربة ألم.



فما من قائدٍ إلا وذاق الهزيمة قبل النصر، وكانت هزيمة أحد مقدمة لفتحٍ عظيمٍ.
سنة الحياة أن الفائز من لا يستسلم، فلا تجعل سقطة واحدة توقف مسيرك.

اجمع جراحك، وامض مستعيناً بالله، فأنت لا تبدأ من جديد كأنك صفر، بل تواصل الطريق من أثر التجربة التي صقلتك وجعلتك أقوى.

(٨٤) استعن بالله ولا تعجز

لا تجلس في غرفة الأحزان لتُشاهد ملفاتك القديمة، اخرج منها؛ فالיום والغد أجمل وأفضل بإذن الله. حفّز نفسك وشجّعها وأعطها الأمل أن هناك تاريخ جديد لك، وإنجازاتٍ عظيمةً في الطريق إليك أنت محورها والفائز فيها، فقط توكل على الله وانطلق.

(٨٥) الوقت أمانة

الوقت من أعظم نعم الله على العبد، وهو رأس ماله الحقيقي الذي لا يُسترجع إذا مضى، فلا تُضيّعه فيما لا ينفع، ولا تصرفه فيما يورث الندم، فهو أمانة ستسأل عنها يوم تلقى الله.
الوقت أنفُسُ ما عنيتَ بحفظه وأراه أسهل ما عليك يضيع



(٨٦) أشهر عنقود عنب في التاريخ

بعد ما لقيه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أذى أهل الطائف، لجأ إلى بستانٍ يناجي فيه ربه. وهناك جاء عدّاس، خادم البستان، بعنقود عنب، فوضعه بين يدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمدّ يده الكريمة إليه، وأكل وهو يقول: «بسم الله».

فتعجّب عدّاس من هذه الكلمة، وسأله عن دينه وبلده، فلما تبين له أنه من نينوى، أخبره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخبر نبي الله يونس عَلَيْهِ السَّلَام، فازداد يقيناً وتأثراً بما سمع، حتى رقّ قلبه وانفتح للإيمان، فأسلم بين يدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهكذا لم يكن ذلك العنقود مجرد طعام، بل صار شاهداً على لحظة رحمةٍ وهدايةٍ خالدة، احتضنته يد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان سبباً في إسلام عدّاس، فاستحق أن يُذكر كأشهر عنقود عنب في التاريخ.

(٨٧) شكراً

شكراً لكل من آذانا أو جرحنا أو أساء إلينا؛ فقد كان في ذلك تهذيبٌ لقلوبنا، وتربيةٌ لنفوسنا، ودفعٌ لنا إلى الصبر والارتقاء، فبكم تعلمنا الحلم، وعرفنا الأدب، واكتشفنا قوة العزيمة، وازددنا قرباً من الله.



(٨٨) الحياة مرة

هل قرأتها بفتح الميم أم بضمها؟

من قرأها بالضممة: «الحياة مُرّة»: أرجو ألا تدع مرارة الأيام تحجب عنك ما في الحياة من نعم ولطائف، ولا تُنسيك لذة الطاعة، وجمال اللحظات الصادقة، ووجود القلوب الطيبة من حولك؛ فكم في الحياة من خير يهون مرارتها ويخفف ثقله.

وأما من قرأها بالفتح: «الحياة مَرّة»: فاعمر هذه المرة الوحيدة بطاعة الله، وأحسن فيها ما استطعت، فهي رحلة لن تتكرر، وساعات تمضي سريعاً، والسعيد من جعل طريقه فيها موصلاً إلى جنات النعيم.

(٨٩) القرآن يصنع ما لا يصنعه البشر

رجلٌ طال الخلاف بينه وبين زوجته ستة أشهر، وضافت به السبل، وكل من تدخل للإصلاح لم يغيّر شيئاً. ثم هداه الله إلى شيخٍ مبارك، فقصّ عليه مشكلته، فقال له الشيخ: كيف علاقتك بالقرآن؟

تعجب الرجل؛ جاء يشكو همّه، فكان الجواب: القرآن.

فنصحه الشيخ أن يعيش مع سورة الطلاق تدبراً وتأملاً، فقرأها بقلب حاضر، يُردد هذه الآيات:



- * ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [سورة الطلاق: آية ١]
- * ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [سورة الطلاق: آية ٢]
- * ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [سورة الطلاق: آية ٣]
- * ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [سورة الطلاق: آية ٤]
- * ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [سورة الطلاق: آية ٧]
- * ﴿لِنَعْلَمَوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [سورة الطلاق: آية ١٢]

فما مضى أسبوع إلا وقد أصلح الله حاله، وعادت المودة إلى بيته. يقول الرجل: والله إن سورة الطلاق صنعت في أسبوع ما لم يصنعه الناس في ستة أشهر.

داؤنا فينا ولو أنا اعتصمنا بكتاب الله ما استفحل داء

(٩٠) أجمل ما يهدى

تهزني عبارة: «دعوت لك»؛ فحين أسمعها أشعر بامتنان عميق يهز القلب، أي لطف هذا الذي يدفع إنساناً لأن يذكرك في خلوته مع الله؟ وأي محبة تلك التي تجعله يرفع لك دعوة خالصة في غيبك؟ إنها هدية لا تُقدَّر بثمن، ومقامها في القلب لا يُنسى.



(٩١) بلاء المعصية

لا تظنّ أن أهل المعاصي في سعادةٍ وراحة، فظاهرهم وإن خيّل إليه ذلك، إلا أن قلوبهم في قلقٍ وهمٍّ وبلاء.

وقد قال بعضُ أهلِ العلم: «إذا رأيتمُ أهلَ البلاءِ فاسألوا اللهَ العافية».

وإن من أعظم البلاءِ بلاء الغفلة عن الله، والإصرار على المعصية، والإعراض عن طاعته.

فحقيقةُ العافية ليست في كثرة المتاع، بل في سلامة القلب من الذنب، وثباته على الطاعة، وحفظه من الغفلة.

(٩٢) خطر الفراغ الروحي

إن الفراغ الذهني والروحي يجعلُ القلب والعقل عُرضةً لتلقي كل وارد، حتى ما كان منه سيئاً ومقلّباً. أما من امتلأ وقته بالعلم والعمل، وروحه بالإيمان والمعرفة، فإنه يجد في ذلك حصناً يحميه من كثير من الأفكار المنحرفة والخواطر المزعجة، فتسكن نفسه ويستقيم فكره.

(٩٣) تذكرةٌ لنا قبلكم

لا تغتروا بكثرة مواعظنا وكلماتنا، فوالله إننا أحوج الناس إليها، وإنما نذكّر بها أنفسنا قبلكم، فنحن أهل تقصيرٍ وضعف، لكننا نرجو أن يهدي بها أحداً في حياتنا وبعد موتنا.



(٩٤) لطف الله الخفي

ومن لطفِ اللهِ تعالى وحُبِّه لعبده، أَنَّهُ يَصْرِفُهُ عن المعصية، وَيَسُدُّ عليه سُبُلَهَا، فقد يَهْفُو القلبُ إليها، وتسعى الخُطى نحوها، غير أَنَّ اللهَ برحمته يقطع الأسباب، ويُغلق الأبواب، ويحمي عبده ممَّا يُضُرُّه. وقد يكون سببُ هذا الصرفِ عملاً صالحاً، أو رصيلاً سابقاً بين العبد وربِّه.

﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾

[سورة يوسف: آية ٢٤]

(٩٥) أخطر الانحراف بعد المعرفة

أشدُّ القلوبِ استعصاءً على الحقِّ والهدى، تلك التي عَرَفَتْ ثمَّ انحرفت.

يا ربِّ ثبَّتْنَا على الإيمانِ ونجِّنا من سُبُلِ الشيطانِ

(٩٦) لا تعير مبتلى

إذا رأيت صاحب الذنب فلا تُعيرهُ بذنبه، فقد يعافيه الله وبيبتلك، ولو شاء ربك لكنت مثله، فالقلب بين أصبعين من أصابع الرحمن، فاحمد الله أنه حفظك وعافاك وشرح قلبك للهداية.



(٩٧) ارحم العاصي .. واكره معصيته

جاء في صحيح البخاري أنه أُتِيَ برجلٍ قد شرب الخمر فأقيم عليه الحد، فتكلم بعض الصحابة فيه، فقال رجل: ما له، أخزاه الله. فقال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**لا تكونوا عونَ الشيطانِ على أخيكُم**».

وفي هذا الموقف العظيم تتجلى رحمة النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وحكمته في التعامل مع المخطئ، إذ حافظ على كرامة العاصي، ولم يُلغِ ما في قلبه من إيمانٍ ومحبةٍ لله ورسوله بسبب ذنبه، مع أن ما وقع فيه من الكبيرة يستوجب العقوبة.

كما يوجّهنا هذا الهدي النبوي إلى أن إهانة العاصي أو تتبع زلته بالقول قد تفتح عليه أبواب شرٍّ جديدة، وتزيد انكساره انحرافاً، بدل أن تكون سبباً في توبته وعودته.

لذلك جاء التوجيه النبوي واضحاً: لا تكونوا عوناً للشيطان على إخوانكم، بل كونوا عوناً لهم على أنفسهم بالرحمة والنصح والستر.

(٩٨) فوات بعض العلاقات نعمة خفية

قد يكون خروج بعض الناس من حياتك، وانتهاء علاقتك بهم، رزقاً ورحمةً من الله بك، وإن لم تُدرك ذلك في حينه، فبعض الأقدار تحمل لك الخير في صورة الفقد، وتدفع عنك ما لا تعلمه من الأذى والتعب،



ولا تحتاج إلا إلى بصيرة ترى بها لطف الرحمن في تدبيره، وأن ما اختاره الله لك خير مما كنت تظنه خيرًا.

(٩٩) سرّ التخلف عن الركب

حين ترى القافلة تسير إلى النور، ولست في ركبها، فاعلم أن الذي منعك كبرٌ أو هوى.

(١٠٠) ثلاثية السعادة

العبد في حياته لا يخلو من ثلاث:

١. نعمة تستوجب الشكر.
٢. وبلاءٌ يحتاج إلى الصبر.
٣. وذنبٌ يفتقر إلى الاستغفار.

فمن شكر عند العطاء، وصبر عند البلاء، واستغفر عند الزلل؛ فقد نال أسباب السعادة في دنياه وأخراه.

قال ابن القيم: «هذه الأمور الثلاثة عنوان سعادة العبد، وعلامة فلاحه في دنياه وأخراه»^(١).



(١) الوابل الصيب (١/ ٥).



ختاماً..

جعل الله هذا البوح حجة لي لا عليّ، ونفع به الكاتب والقارئ،
شكراً لقلبك الذي أصغى، ولروحك التي شاركتني عبور هذه السطور؛
فبالقارئ الواعي يكتمل معنى الكتابة، والحمد لله أولاً وآخراً.





الفهرس

- ٤ المقدمة ❁
- ٦ (١) أمية علمت القراء ❁
- ٦ (٢) جبر القرآن لأهله ❁
- ٧ (٣) أهل القرآن لا يُضيعون ❁
- ٧ (٤) من هو صاحب القرآن؟ ❁
- ٨ (٥) هنيئاً لأهل القرآن ❁
- ٨ (٦) نور الفجر ❁
- ٨ (٧) الذكرُ توفيقٌ واصطفاء ❁
- ٩ (٨) رفعةُ الذَّاكر ❁
- ٩ (٩) الذكرُ حياة ❁
- ١٠ (١٠) حصنُ آية الكرسي ❁
- ١٠ (١١) حاجتنا للتوبة والاستغفار ❁
- ١١ (١٢) بماذا ينشغل قلبك؟ ❁
- ١١ (١٣) نعيم الطاعة والجزاء ❁
- ١٢ (١٤) الجنة لا يدخلها إلا الطيبون ❁
- ١٢ (١٥) ونام الأرواح في الجنة ❁
- ١٣ (١٦) المسجد موطن الرحمات ❁



- ١٣ (١٧) الفرج يبدأ من سجدة ❁
- ١٤ (١٨) درجات الجنة تُنال بالسجود ❁
- ١٥ (١٩) ما أعظم كرم الله! ❁
- ١٥ (٢٠) عطاء لا يُحد ❁
- ١٥ (٢١) قيمة العلم في نفعه ❁
- ١٦ (٢٢) كيف كانت بداية الشيخ السعدي؟ ❁
- ١٧ (٢٣) الشنقيطي بين المحراب ومجلس العلم ❁
- ١٧ (٢٤) ابن باز وتعظيم الأذان ❁
- ١٨ (٢٥) ثمار السنين في كتب الطبري ❁
- ١٨ (٢٦) العلم يرسخ بالتعليم ❁
- ١٩ (٢٧) ميزان القراءة ❁
- ١٩ (٢٨) الناس كالكتب ❁
- ٢٠ (٢٩) حين تقود الكتب إلى ما لم يُتوقع ❁
- ٢٠ (٣٠) ميزان المشاعر في الحياة ❁
- ٢١ (٣١) وهم المقارنة ❁
- ٢٢ (٣٢) فقه الحياة وتقلباتها ❁
- ٢٢ (٣٣) نعمة انشراح الصدر ❁
- ٢٣ (٣٤) التأمل في النعم يُذهب الهم ❁



- ٢٤ (٣٥) صلاحُ البَالِ ❁
- ٢٤ (٣٦) بين يدي مالك الملك ❁
- ٢٥ (٣٧) طريق الرضا ❁
- ٢٥ (٣٨) الحُزن في ميزان الشرع ❁
- ٢٦ (٣٩) علاج ضيق الصدر ❁
- ٢٧ (٤٠) لا مستحيل مع الله ❁
- ٧٢ (٤١) ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ ❁
- ٧٢ (٤٢) ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ ❁
- ٢٨ (٤٣) سفينة الحياة ❁
- ٢٨ (٤٤) بركة الأهل الصالحين ❁
- ٢٩ (٤٥) وفاءٌ بقي بعد الفراق ❁
- ٢٩ (٤٦) مشهدٌ موجع ❁
- ٣٠ (٤٧) الفراق لا يستأذن ❁
- ٣٠ (٤٨) قيمة الإنسان عند الرحيل ❁
- ٣١ (٤٩) لحظةٌ وداع لا تنسى ❁
- ٣١ (٥٠) رحمة الله بالوالدين في فقد الولد ❁
- ٣٢ (٥١) رحمة الله أوسع ❁
- ٣٣ (٥٢) رحمة الله بأصحاب الديون ❁



- ٣٤ (٥٣) الذوق في النصح وتصحيح الخطأ ❁
- ٣٤ (٥٤) الذوق في تقديم الإحسان للناس ❁
- ٣٥ (٥٥) نقل الخير من أخلاق الكرام ❁
- ٣٦ (٥٦) لا تستصغر الخير ❁
- ٣٦ (٥٧) لا تجعل المظهر ميزانك ❁
- ٣٧ (٥٨) لا تُثقل قلبك بالآخرين ❁
- ٣٧ (٥٩) هشاشة العلاقات أمام التأويل ❁
- ٣٨ (٦٠) أخلاق الكبار ❁
- ٣٨ (٦١) الدعاء يُصلح الطّباع ❁
- ٣٩ (٦٢) جبرُ الحقوق بالدعاء ❁
- ٣٩ (٦٣) جبر الخاطر عبادة ❁
- ٤٠ (٦٤) المواقف الخالدة ❁
- ٤١ (٦٥) الأمان قبل الحكاية ❁
- ٤١ (٦٦) خصلتان تورثان طمأنينة القلب ❁
- ٤٢ (٦٧) أنفع ما للقلب ❁
- ٤٣ (٦٨) بسطُ الوجه مفتاحُ القلوب ❁
- ٤٣ (٦٩) بعض الناس حياة ❁
- ٤٤ (٧٠) فخّر أصحابك ❁



- ٤٥ (٧١) أدب السؤال ❁
- ٤٦ (٧٢) فنُّ الاعتذار ❁
- ٤٦ (٧٣) فنُّ الاستماع ❁
- ٤٦ (٧٤) الاعتدال جمال ❁
- ٤٧ (٧٥) المنشغل بالبناء لا يلتفت للهدم ❁
- ٤٧ (٧٦) ابدأ رغم النقص ❁
- ٤٧ (٧٧) ابدأ بما تستطيع ❁
- ٤٨ (٧٨) حقيقة العطاء ❁
- ٤٩ (٧٩) سر القبول ❁
- ٤٩ (٨٠) طيبُ الأثر ❁
- ٥٠ (٨١) اصنع أثراً بكلمتك ❁
- ٥٠ (٨٢) مجدُّ الكلمة حين تصل القلوب ❁
- ٥٠ (٨٣) النهوض بعد السقوط ❁
- ٥١ (٨٤) استعن بالله ولا تعجز ❁
- ٥١ (٨٥) الوقتُ أمانة ❁
- ٥٢ (٨٦) أشهر عنقود عنب في التاريخ ❁
- ٥٢ (٨٧) شكراً ❁
- ٥٣ (٨٨) الحياة مرة ❁



- ٥٣ (٨٩) القرآن يصنع ما لا يصنعه البشر ❁
- ٥٤ (٩٠) أجمل ما يهدى ❁
- ٥٥ (٩١) بلاء المعصية ❁
- ٥٥ (٩٢) خطر الفراغ الروحي ❁
- ٥٥ (٩٣) تذكرة لنا قبلكم ❁
- ٥٦ (٩٤) لطف الله الخفي ❁
- ٥٦ (٩٥) أخطر الانحراف بعد المعرفة ❁
- ٥٦ (٩٦) لا تُعير مُبتلى ❁
- ٥٧ (٩٧) ارحم العاصي .. واكره معصيته ❁
- ٥٧ (٩٨) فوات بعض العلاقات نعمة خفية ❁
- ٥٨ (٩٩) سرّ التخلف عن الركب ❁
- ٥٨ (١٠٠) ثلاثية السعادة ❁
- ٥٩ ختاماً .. ❁
- ٦٠ الفهرس ❁

